الشيخ عبد العزيز الطريفي
في نصف قرن (١٣٩٦-١٤٤٦)

أبو أسامة عبد العزيز الحلاق

مؤسسة النازعات
Anaziat

ذو الحجة
١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطَّريفي

خلال نصف قرن (١٣٩٦-١٤٤٦هـ)

مسيرة خمسين عامًا من العلم والدعوة والجهاد

بقلم أحد تلامذته

أبو أسامة عبد العزيز الحلاق

النازعات

ذو الحجة ١٤٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه نبذة عن حياة الشيخ وسيرته وجهاده بمناسبة بلوغه سن الخمسين، أردت بها قضاء حق الشيخ عليّ وعلى أمته وتعريف الجيل بقضيته، ومقدار الظلم والابتلاء الذي نزل به، وتنبيه أبناء الأمة المسلمة بحق رجل من خيرة رجالاتها، وعالم جليل من خيار علمائها، وفي سيرة الشيخ قبس لمن أراد الإخلاص والقبول، وطلب العلم والنبوغ فيه، وفيها أيضًا شحذ للهمم وحث للعزائم، نسأل الله تعالى له الفرج والثبات والتأييد.

نسبه ونشأته

هو الشيخ المحدث عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، قال ابن الأثير في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب»: «الطريفي بفتح الطاء وكسر الراء وبعدها ياء تحتها نقطتان وبعدها فاء، نسبة إلى طَريف بن حيي بن عمرو بن سلسلة بن غنم، بطن من طيء»[1]، وهي إحدى قبائل منطقة حائل الواقعة في شمال بلاد الحرمين، هاجر أبوه لمناطق عديدة

[1] اللباب في تهذيب الأنساب (٢/٢٨١).

ابتغاء طلب الرزق، فأنجب ابنه **عبد العزيز الطريفي** الذي ولد بدولة الكويت في السابع من شهر ذي الحجة لعام ١٣٩٦ للهجرة النبوية، ونشأ الشيخ بالكويت مع والده الذي كان منذ الستينات الميلادية منشغلًا فيها وفي العراق ومصر بطلب الرزق وتوفير المال الحلال لأهله وعياله، ثم لم يلبث والده أن عاد إلى بلاد الحرمين قبل أن يُميّز الشيخ، وعندما ناهز الشيخ سن الحلم، اشتغل بطلب العلم مبكرًا، وحُبب إليه سعة البحث والاطلاع على الكتب، فانكبّ على السنة النبوية دراسة وحفظًا، حتى عُرِفَ بالعلم بين أقرانه، وقد عُرف الشيخ منذ صغره بتوقد ذهنه وحدة ذكائه، ثم تميز بالنبوغ في طلب العلم، والبحث والنظر فيه، وسعة اطلاعه على المطولات، وشديد عنايته بالمحفوظات في السنة والآثار والأشعار، ثم عُرف الشيخ مؤخرًا بعد ثورات الربيع العربي بالعلم والدعوة والإفتاء والفضل، وعمق فهمه للنصوص، وحسن تصوره للواقع، وإيصال ما يريده بأحسن بيان، مما لا يحصل في الغالب لمن هو في عمره.

طلبه للعلم

ابتدأ الشيخ طلبه للعلم وحفظه المتون العلمية في سن الثالثة عشرة، وكان أول محفوظاته متن «البيقونية» في علم مصطلح الحديث، ثم حفظ

في سن البلوغ كثيرًا من المتون كـ«الأصول الثلاثة» و«كشف الشبهات» و«كتاب التوحيد» و«فضل الإسلام» و«المنظومة الرحبية» و«بلوغ المرام»، ومئات الأبيات الشعرية من الشواهد وغيرها، أما عن طريقته ومنهجيته في بدايته لطلب العلم، فقد كانت بداية مضطربة وغير منضبطة، فلم يكن الشيخ أول أمره مكثرًا من حضور الدروس العلمية على الشيوخ، وإنما التزم بحضور ثلاثة دروس أسبوعية فقط، لكن كانت أغلب ساعات طلبه للعلم تنقضي في القراءة والتلخيص من غير لزوم فن معين، فقد قرأ في علم العقيدة والسنة والفقه والسيرة والتاريخ واللغة والشعر والأدب، وفي سن الخامسة عشرة بدأ الشيخ بالقراءة والحفظ والقراءة العامة المكثَّفة، وقد قرأ حينها عشرات المجلدات كـ«تفسير ابن كثير» و«زاد المعاد» و«سيرة ابن هشام» و«فتاوى ابن تيمية» وغيرها، وقد حبب إليه تلخيص الكتب المطولة، فاختصر في سن السادسة عشرة من عمره «تفسير ابن كثير» كاملًا و«زاد المعاد»، وأجزاء من «المغني»، وأجزاء من «فتاوى ابن تيمية»، كل ذلك اختصره كتابةً بيده، ولا يزال محتفظًا بها في مكتبته، كما اختصر نحو شطر «الاستذكار» لابن عبد البر، واعتنى بضبط مسائله وحفظ شواهده الشعرية التي يوردها، كما وضع فهرسًا مخطوطًا لفتاوى ابن تيمية، واستخرج منها

القواعد الفقهية والحديثية وغير ذلكم، مع استخراج الأعلام والبلدان والمذاهب المختلفة والمتنوعة.

وحين جاوز الشيخ الطريفي العام الثامن عشر من عمره، بدأ بحفظ الأصول الحديثية كـ«صحيح البخاري»، فـ«صحيح مسلم»، فـ«سنن أبي داود» فبقية الأصول، ثم شرع بالتفقه على المذهب الأحمد مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فحفظ مسائل «شرح الزركشي على مختصر الخرقي» الواقع في سبعة مجلدات، وحفظ ما ورد فيه من الروايات الفقهية الحنبلية، واعتنى بضبط مسائل وأدلة كتاب «منار السبيل» لابن ضويان، واعتنى كذلك بكتاب «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني في فقه الإمام مالك بن أنس، وقرأ من شروحها نحو خمسة شروح.

وبعد تخرجه من المرحلة الثانوية، انتسب لكلية الشريعة بجامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض، فدرس بها الشيخ مدة أربع سنين حتى تخرج في كلية الشريعة عام ١٤١٨-١٤١٩هـ.

وقد تَلَمَّذ الشيخ الطريفي في الجامعة على عدد من كبار أهل العلم، وعندما تخرج في جامعة الإمام بمرتبة الامتياز والتفوق، عمل باحثًا علميًّا في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالرياض، واستفاد كثيرًا في طلبه للعلم من وزير الوزارة آنذاك الشيخ صالح آل الشيخ، كما

انشغل الشيخ الطريفي من عام ١٤١٩هـ وحتى عام ١٤٢٢هـ بالتنقيب عن الكتب والمخطوطات وفهرستها، مع الدراسة على الشيخ ابن باز رحمه الله وغيره من علماء مدينة الرياض، وكان يسافر أيضًا للعديد من بلدان المسلمين، فيقابل بها الشيوخ ويأخذ عنهم ويستجيزهم، فضلًا عن استمراره الشخصي في استحفاظ المتون وأسانيد الآثار والأخبار، ومراجعة كتب السنن والآثار، وحفظ أسماء الرجال، وضبط أخبارهم وأحوالهم، وأكثَرَ جدًّا من العناية بعلم العلل والجرح والتعديل، وفقه آيات أحاديث الأحكام، ولم ينقضِ عام ١٤٢٢هـ إلا وهو منشغل بتعليم الناس على مقعد التدريس.

أساتذته وشيوخه

تتلمذ الشيخ على جماعة من أهل العلم منهم:

١- الشيخ عبد العزيز بن باز.

٢- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.

٣- الشيخ مُحَمَّد بن الحسن الشنقيطي.

٤- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك.

٥- الشيخ عبد الكريم الخضير.

٦- الشيخ مُحَمَّد عبد الله الصومالي.

٧- الشيخ النحوي حسن الأثيوبي.

٨- الشيخ مُحَمَّد أجمل الإصلاحي.

٩- الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

١٠- الشيخ مُحَمَّد البربي الهندي.

١١- الشيخ أبو محفوظ الكريم بن مُحَمَّد أمير حسن بن مُحَمَّد معصومي.

١٢- الشيخ الأديب مُحَمَّد بو خبزة الحسيني المغربي.

١٣- الشيخ القاضي مُحَمَّد إسماعيل العمراني اليمني.

١٤- الشيخ المحدث عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي.

ودرس على جماعة غيرهم من أهل العلم والفضل، وقد قرأ العلامة الطريفي بعد بلوغ الخامسة والعشرين من عمره جُلّ كتب السنة قراءة تحقيق وتدقيق ونظر؛ كـ«سنن البيهقي»، و«سنن سعيد بن منصور»، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان ومصنفي ابن أبي شيبة وعبد الرزاق و«المحلى» لابن حزم، و«الأوسط» لابن المنذر، و«معرفة السنن والآثار» للبيهقي، و«سنن الدارقطني» و«المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»، وأكثر الأجزاء الحديثية المسندة وغيرها، وكان كثير العناية

بجمع وتدوين إجماعات الصحابة وفقههم وفقه من أتباعهم من السلف الصالح.

جلوسه للتدريس والتعليم والتصنيف

عام ١٤٢٣هـ، كنت في زيارة لأحد زملائي من طلبة العلم الساكنين بأحد ضواحي محافظة الخرج القريبة من مدينة الرياض، أخبرت صديقي يومئذ برغبتي في التعرف على علماء منطقته للتشرف بمعرفتهم والاستفادة منهم وحضور مجالسهم العلمية المفيدة، فأخذني زميلي وجال بي جولة بين مساجد المنطقة وجوامعها ودُورِها الثقافية وأحيائها، وعرّفني على علماء منطقته في أيام وجيزة، وقد لفت ثلاثة منهم انتباهي، كان أحدهم من تلاميذ الشيخ ابن باز وهو الشيخ خالد الهويسين، والآخر كان من تلاميذ الشيخ ابن عثيمين وهو الشيخ القاضي عبد العزيز السلمان، وأما الثالث فهو الشيخ الشاب عبد العزيز الطريفي الذي كان في أواخر عشريناته من عمره يومئذ، وأعجبني في إلقائه لدرسه جودة سرده لمحفوظاته، فقد كان حافظًا ومتقنًا للأسانيد والمتون الحديثية، ولا زلت أذكر ازدحام الطلاب على درس الشيخ الهويسين في شرح صحيح البخاري، ودرس الشيخ السلمان في تفسير سورة «الحجرات»، بخلاف درس الشيخ الطريفي؛ فلم يكن

تعداد الطلاب فيه يتجاوز عشرة أشخاص، نصفهم من عامة أهل المسجد الكائن بحي الفيصلية، لكن الغريب في الأمر أنّ الشيخ الشاب كان يسرد عليهم الأحاديث ويشرحها لهم بنسق عجيب عن ظهر قلب، وكان يفقّههم بمضامينها ويبيّن لهم مقاصدها بلغة العلماء الكبار وعلى سنن الأوائل، ثم وجدته يفتيهم ويذكر لهم المذاهب، ويسوق الأقوال ويُرجّحُ ويُصوّب عبر ذكره الأخبار والآثار، وتصحيح صحيحها وإعلال المعلول منها.

منذ اليوم الأول الذي تعرفت فيه على الشيخ الطريفي؛ كنت أرقب شأنه وأتابع جديد دروسه التي كانت تبث يومئذ على الانترنت في غرفة علمية اسمها: «حامل المسك»، وكنت حينها قد رأيت فيه معالم العالم الفقيه والمحدث الجليل، وكنت كلما سنحت لي الفرصة للجلوس في مجالسه العلمية بالديار النجدية يطرأ في مخيلتي قسرًا أني بحضرة محدث فذ من أمثال ابن رجب وابن كثير وابن عبد الهادي رحمهم الله، فرجوت للشيخ مستقبلًا زاهرًا رغم كونه لم يبلغ الثلاثين من عمره آنذاك.

في ذلكم الحين؛ لم يُصدر للشيخ الطريفي إلا كتاب جليل كان قد انتهى من تصنيفه وهو في الرابعة والعشرين من عمره، أي في عام ١٤٢٠ للهجرة النبوية بعد دراسته وتخرجه في جامعة الإمام مُحَمَّد بن

سعود بالرياض، كان عنوان الكتاب «التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل» وقد طُبع فيما بعد في مجلد ضخم يقع في نحو ٦٠٠ صفحة، استدرك فيه على الشيخ الألباني وتعقبه في كتابه «إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل»، فاستدرك وتعقب ما فاته من التخريجات الحديثية مما لم يقف عليه الألباني، وكان الطريفي في «تحجيله» متقنًا لفنه، وموفَّقًا في تعقباته، ومؤدبًا غاية التأدب مع الألباني في استدراكاته، فلهذا نال عمله هذا جائزة أفضل عمل علمي في بلاد الحرمين لعام ١٤٢٢هـ.

دخل عام ١٤٢٣هـ، فشرع الشيخ الطريفي بشرح رسالة «نواقض الإسلام» للإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب في شهر شعبان من عام ١٤٢٣هـ، وكان الدرس يومئذ في أحد جوامع حي النسيم الغربي في مدينة الرياض، وكان شرح الطريفي جريئًا على خلاف ما جرت به عادة أغلب شيوخ بلاد الحرمين؛ فالعراق وأفغانستان يومئذ قد صال عليها الصليبيون، والأمة تنتظر قولة الحق من عالم حق وصدق، فكان طرحه العقدي قريبًا جدًّا من طرح شبيهه العالم المحدث سليمان بن ناصر العلوان ثبته الله وفرج كربته، فبيّن فيه بأتمّ بيان أنواع الشرك وحكم موالاة الأمريكان الصائلين على بلاد المسلمين، وأحكام موالاة

اليهود المحتلين لفلسطين، كما ذكر مسائل مهمة من نوازل الواقع المعاصر، وأذكر حينها أنّ الشيخ كان يمنع الحاضرين من تسجيل دروسه تواضعًا منه، وقد تفرّد بتسجيلها أحد طلاب الشيخ من بني غطفان، فطبعها بإذن الشيخ في كتابه الذي سماه «الإعلام بشرح نواقض الإسلام»، ورغم أنّ المعتني حذف كثيرًا من المسائل إشفاقًا وحنانًا بالشيخ، إلا أنّ الكتاب مع تمام طبعه وانتشاره بين طلبة العلم، صدر أمر بمنع بيعه وتداوله بالمكتبات من قبل النظام الحاكم.

أواخر عام ١٤٢٣هـ؛ بدأ نجم الشيخ الطريفي بالبزوغ في الساحة العلمية النجدية شيئًا فشيئًا، فشرع حينها في الشرح والتعليق على عدد من الكتب والمتون العلمية، فشرح «الأربعون النووية» و«بلوغ المرام» و«نخبة الفكر» و«المحرر» و«صحيح البخاري» و«سنن الترمذي» و«سنن أبي داود» و«كتاب التوحيد» و«رسالة آداب المشي إلى الصلاة» وغير ذلك، وشرح أيضًا «حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ».

وكنت أزور الشيخ عندما أجد الوقت المناسب لأستفيد منه وأستفتيه حتى توثقت صلتي به وعرفته عن كثب، فأعجبني فيه دَلُّهُ وسمته، ووقاره وصمته، وما رأيته فيه من نبوغه وحكمته وفطنته، وقوة استحضاره

وحسن تعليمه، وتسامحه مع منتقديه، وصبره على طول البحث والمدارسة؛ أدركت حينها سعة رحمة الله ﷻ بهذه الأمة الولود، وأنها أمة مهدية يخلف الله لها مَن يحفظ دينها ويذب عن سنة رسولها ﷺ.

والشيخ حفظه الله وثبته مبدع في شروحه؛ فشروحه مترعة بالفوائد والفرائد التي لا يستغني عنها طالبُ العلم، لا سيما طلاب علم الحديث من جهة الرواية والدراية، وله عناية فائقة بإيراد القرائن والضوابط والعلل حال روايته لأحاديث رسول الله ﷺ، وزاد طِيب دروسه وشروحه جميل سبكه للعبارات الجامعة للكلم على طريقة المتقدمين من أهل الحديث المحدثين، وحسن بيانه وبلاغته وحلاوة منطقه، وكل ذلك يدل على حسن عنايته، وطول نظره وتأمله في علم الحديث خاصة، وسائر العلوم الإسلامية عامة.

وكما أسلفت آنفًا، فقد بدأ الشيخ الطريفي بالتدريس والإفادة عام ١٤٢٢هـ، فكانت له دروس متنوعة في مدينة الرياض وخارجها في مختلف الكتب الحديثية والفقهية وغيرهما، وكان الحضور لديه قليلًا بادئ الأمر، ثم ذاع صيت الشيخ عند انشغاله بالتعليق على الأصول الحديثية، وقد شرح الشيخ الكثير من الكتب والمتون العلمية، ومن أوائل الكتب التي شرحها الشيخ وتناولها بالتعليق والتوضيح ما يلي:

١- الأحكام الصغرى للأشبيلي.

٢- الأربعين النووية.

٣- نخبة الفكر.

٤- المحرر في الحديث.

٥- لمعة الاعتقاد.

٦- كتاب التوحيد.

٧- شرح العلل لابن رجب.

٨- العلل لابن المديني.

٩- التمييز للإمام مسلم.

١٠- نخبة الفكر في المصطلح.

١١- الموقظة للذهبي.

١٢- زاد المستقنع.

١٣- المنتخب من العلل للخلال.

١٤- شرح العلل الصغير للترمذي.

١٥- تعليقاته على الموطأ للإمام مالك.

١٦- تعليقاته على سنن الدارمي.

وغير ذلك من كتب أهل العلم رحمهم الله.

رحلاته في طلب العلم ونشره

رحل الشيخ الطريفي لمختلف بلاد الإسلام لطلب العلم وتنويع المعارف، فرحل للهند وأخذ عن علمائها من الحنفية وأهل الحديث، وسافر لمصر وتونس والمغرب، واستجاز من علمائها فأجازه بعضهم كالشيخ مُحَمَّد عبد الله الصومالي، والدكتور سهيل حسن عبد الغفار، والدكتور مُحَمَّد لقمان الأعظمي الندوي، والشيخ المحدث مُحَمَّد البرني الهندي رحمه الله، والشيخ مُحَمَّد المنتصر الكتاني المغربي، والشيخ الأديب عبد القادر كرامة الله البخاري، والشيخ العلامة الأديب مُحَمَّد بو خبزة الحسيني المغربي رحمة الله على الجميع.

عنايته بالكتب

للشيخ عناية كبيرة بالكتب وقراءتها، وفي بيته مكتبة عامرة بآلاف المجلدات والكتب، وقد اعتنى الشيخ كثيرًا بكتب العلل الحديثية؛ كـ«شرح علل الترمذي» لابن رجب، و«علل» الدارقطني، و«علل ابن أبي حاتم»، و«علل ابن المديني»، و«علل ابن معين»، و«علل الخلال»، و«علل أحمد»، وغيرها.

كما اعتنى بكتب المذاهب الفقهية كلها؛ فقرأ من كتب السادة المالكية واختصر «التمهيد»، و«الاستذكار» لابن عبد البر، و«المدونة»، و«المقدمات»، وجملة من شروح «الرسالة» وغيرها في فقه الإمام مالك.

وفي فقه الإمام أبي حنيفة النعمان؛ قرأ كتاب «الحجة على أهل المدينة»، وكتاب «الآثار» لأبي يوسف ومُحَمَّد بن الحسن، و«حاشية ابن عابدين الشامي» رحمة الله على الجميع.

وفي فقه الإمام أحمد قرأ الشيخ جميع مسائل الإمام أحمد التي وقف عليها كـ«مسائل أحمد برواية عبد الله»، و«مسائل صالح»، و«مسائل ابن هانئ»، و«مسائل مهنا»، و«مسائل الخلال»، و«مسائل أبي داود»، و«مسائل الكوسج»، ويلحق في هذا ما ينقل عن أحمد في غير المسائل كـ«طبقات الحنابلة» وغيرها، ومن الكتب المعتمدة في فقه الإمام أحمد: «شرح الزركشي على مختصر الخرقي»، و«الشرح الكبير»، و«كشاف القناع»، و«منار السبيل» وغيرها.

وفي فقه الشافعية قرأ الشيخ كتاب «الأم»، و«المجموع»، و«الشرح الكبير» وغيرها.

وأما علم التفسير فقد قال الشيخ أنه قرأ جُلّ التفاسير المسندة المطبوعة كـ«تفسير ابن جرير الطبري»، و«تفسير ابن أبي حاتم»،

و«تفسير البغوي»، وأما «تفسير ابن المنذر» فقد قرأ الموجود منه مخطوطًا قبل أن يُطبع، وكذلك «تفسير عبد بن حميد» قرأ قطعته المخطوطة والموجودة في «حاشية تفسير ابن المنذر»، وقرأ «تفسير ابن كثير»، واختصر فوائده كما سبق ذكره، وللشيخ قراءات متفاوتة في «تفسير القرطبي»، و«تفسير ابن عطية»، و«تفسير الزمخشري»، و«تفسير الثعلبي»، وغيرها.

كما له قراءات متفاوتة في كتب الأدب كـ«العقد الفريد»، و«زهرة الآداب»، و«المقامات»، وكتب الجاحظ بالأخص وغيرها.

وأما التاريخ فقد قرأ كتب الطبقات، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، وأجزاء من «شذرات الذهب»، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، و«البداية والنهاية» لابن كثير.

وأما الجانب الفكري فللشيخ عناية واهتمام كبير به وخاصة ما يتعلق بشأن التيارات والأفكار المعاصرة كالعَلمانية والليبرالية والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية، وكذلك في التيارات المنتسبة للإسلام، وللشيخ قراءات ومتابعات لبعض المجلات والدوريات، وله قراءات مستمرة لجديد المقالات في الصحف اليومية، وله متابعة متواضعة لِما تنشره دور

النشر التي تعنى بالأفكار الغربية باللغة العربية سواء التي مقرها لندن أو بيروت وغيرها، وفي مكتبته مئات الكتب والدوريات من هذا النوع.

وقد قال الشيخ: «كل المدارس الفكرية التي راجت عند بعض المسلمين والعرب في وقتنا ما هي إلا صور للمدارس الغربية وغيرها، من آثار الانفتاح الحاصل على الأمم والشعوب الأخرى، كما حصل في القرن الثالث والرابع وما بعدها، وكل حضارة قوية لا بد لها من أتباع ومقلدة، وإذا تلاشت تلاشوا معها، فالشيوعية فُتن بها الناس زمنًا، ثم ماتت وكُفّن بها أصحابها، وهكذا ستتبعها العَلمانية والليبرالية، والتاريخ مليء من ذلك، ولكننا لا نقرأ التاريخ».

أما عن كتب الفلسفة فقد قرأ الشيخ بعض كتب الفلاسفة الأوائل، فقرأ رسائل الفارابي والسياسة المدنية له، وبعض رسائل أرسطو وقسطا بن لوقا، وأرطميدورس الإفسي وغيرهم، وبعض الفلاسفة المنتسبين للإسلام كابن سينا وابن ملكا وابن رشد.

أخلاقه وتواضعه

بعد توطد الصلة بالشيخ وتوالي زياراتي له، وملازمتي لحضور دروسه الحديثية، وخاصة مجالس بيته التي كانت عامرة بالفوائد الفقهية والتاريخية والحديثية، ولا سيما تلك التي يقتنصها من غير مظانها، كان

الشيخ الطريفي يكره جدًّا أن يقال له: «يا شيخ»، وكثيرًا ما سمعته يقول للسائل المتصل عليه: «معك عبد العزيز»، وكم من دار نشر وناشر لكتبه اشترط عليه الشيخ الطريفي أن يجرد اسمه من أي لفظ يسبق اسمه، ولهذا أغلب مؤلفاته مصدرة بعبارة: «تأليف: عبد العزيز الطريفي» دون لفظة «شيخ»، وهو -والله- حقيق بها وأهل لها فرّج الله عنه، فإنّ الشيخ هو الكامل في فنه كما قالوا. ومن عجيب تواضعه أنه كان بعد الدرس يحمل بسيارته بعض طلابه فيوصلهم إلى مساكنهم لعدم توفر وسائل نقل تقلهم لبيوتهم، حتى آل الأمر بأن منعه من القيام بذلك الموسرون من طلابه وقاموا هم عوضًا عنه بمهمة إيصال إخوانهم.

وأذكر يومًا أني استحييت من الشيخ الطريفي أن أسأله عن الشيخ العلوان حينما أسر عام ١٤٢٤هـ، هل له معرفة به، وهل قابله ودرس عليه شيئًا من العلم، والسبب في ذلك أنني رأيت طريقة الشيخ الطريفي في الطرح الحديثي والتدريس مشابهة ومقاربة لطرح الشيخ العلوان، فأرسلت صديقًا جريئًا من أصدقائي فسأل الشيخ فكان جوابه أنه قرأ له بعض جهوده العلمية لكنه لم يتشرف برؤية الشيخ ولا الدراسة عليه، وأنّ الله ﷻ لم يهيئ له لقاءه ومراسلته.

عنايته بالتاريخ والتراجم والسير

للشيخ الطريفي عناية كبيرة بكتب التراجم والتواريخ، وكثيرًا ما ينبه على أنّ فيها من الفوائد الفقهية والعلمية ما لا يوجد في غيرها من المظان، وقد قال الشيخ في حوار معه: «والتاريخ ومعرفته هي عمر الإنسان الحقيقي وخبرته، فينبغي أن يكثر من قراءته، فكم مَن هو كهل في معرفته وهو صغير السن في عمره، بسبب معرفته بالتاريخ والحوادث والوقائع والفتن وكيف آلت إليه وحال أصحابها قبل وبعد وكيف تعامل معها العقلاء، ولا يكاد يوجد واقعة إلا ولها نظير في التاريخ، ومن المؤسف حقًّا أن نرى أخطاء التاريخ تتكرر بسبب الجهل به، والإعجاب بالعقل والرأي والتدبير في الأمور العظام داء خطير جر على الأفراد والشعوب والحكام الويلات والنكبات».

وللشيخ في بيته مختصرات ومقيدات لكتب من المطولات الحديثية والتأريخية والفقهية كان قد اختصرها بخط يده، وأرجو ألا تكون قد أتلفت عند اعتقاله كما أتلفوا سابقًا كثيرًا من الممتلكات العلمية للشيخ المحدث عبد الله السعد والشيخ سفر الحوالي فرّج الله عنه.

وأذكر مرة أنني استفتيته عند باب بيته عن حكم التلوّن والتخفي بحلق اللحية ولبس الصليب لمن عزم على النفير لثغر الشيشان، فقد

كان الدخول إليها من دولة جورجيا يومئذ والمجاهد قد يضطر إلى مثل ذلك؛ فأجابني بفائدة فقهية من كتب التاريخ، فذكر لي أنّ القائد صلاح الدين الأيوبي قد فعل ذلك أيام حصار عكا، وأنّ الإمام ابن كثير حينما روى قصته قال موافقًا لصنيعه بأنّ «الحرب خَدعة».

كتبه ومؤلفاته

من أعظم جهود الشيخ التي تجلى فيها نبوغه العلمي، وأفضل دروسه الصوتية التي دُوّنت وفُرّغتّ على الأوراق؛ كتابه الجليل «التفسير والبيان لأحكام القرآن»، وهو عبارة عن دروس صوتية فسّر فيها الشيخ آيات كتاب الله العزيز المختصة بالأحكام، وقد طبع ونشر في خمسة مجلدات كبار.

لكني أرى من خلال دراستي على الشيخ وحضوري لمجالسه أن أجلّ شروح الشيخ عبد العزيز الطريفي القيمة وأحسنها وأكملها وأتمها وأبدعها شرحه لكتاب «المحرر في الحديث» والذي ابتدأه يوم السبت ١ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ، واستمر في شرحه نحو عشرة أعوام، وقد أكمل الشيخ شرحه وأتمه، ورأيت بعضه مفرغًا عنده، لكنه لم يُطبع حتى هذه الساعة، ولو طُبع لجاء في عشرة مجلدات ضخام، وفيها من

الصنعة الحديثية والفقهية، والكلام على الآثار رواية ودراية، وفقه الصحابة والتابعين ما لم يتيسّر لأحد في عصره.

ولولا الله ﷻ وما وضعه من قبول للشيخ الطريفي ثم طلابه الأفاضل المحتسبون الصابرون لَما عرفت الأمة الإسلامية نتاج هذا الرجل العالم، فجزى الله طلاب الشيخ خيرًا كثيرًا جزاء صبرهم على الحضور ونشرهم لعلم الشيخ وبرهم به، وتقييدهم لدروسه وتدوينها وتفريغها ثم المساعدة على طبعها ونشرها.

اعتداله في آرائه واختياراته

الشيخ الطريفي معروف بين علماء بلده بالتوسط والاعتدال في المسائل العلمية والقضايا الفكرية والواقعية، وهو لا يقلد علماء بلده فيما مضت عليه الفتوى عندهم، لكنه من أهل الاجتهاد والنظر في الدلائل ووسائل ثبوتها وتحقيق ذلك، والشيخ له تقييدات كثيرة في مسائل التكفير كان قد وضحها في شروحه لرسالة «نواقض الإسلام»، ورسالة «مفيد المستفيد»، وشرحه «كتاب التوحيد»، بخلاف بعض علماء بلده الذين تكثر في شروحهم الإطلاقات، ولقد سمعته مرارًا في شرح «مفيد المستفيد» و«كتاب التوحيد» يخالف كثيرًا مما ذهب إليه مشايخ النظام السعودي؛ فعلى سبيل المثال ذكر الشيخ الطريفي في

معرض كلامه عن حكم الحلف بغير الله أنّ الحلف بغير الله محرم وليس بشرك أكبر، واستدل لذلك بأحاديث وآثار، وبيّن ضعف الأخبار التي فيها تكفير مَن حلف بغير الله ﷻ، وأثبت رواية صحيحة عن الإمام أحمد عليه رحمة الله تعالى أنه قال بجواز الحلف بالنبي ﷺ، وأنّ اليمين التي يُحلف بها بالنبي ﷺ تنعقد ويجب فيها الكفارة.

وللشيخ اتزان واعتدال في فهم وتقييم الرجال والجماعات والحكومات والدول، ومَن يستمع لتقييمه للحركات الإسلامية العاملة للإسلام فسيجد رجاحة عقله، وحسن فهمه العميق للواقع المعاصر.

وللشيخ الطريفي آراء واختيارات وافق فيها بعض السلف وإن كانت مخالفة لِما عليه المذاهب الأربعة والجمهور، كقوله بطهارة الدم، واستحباب عدم المداومة على صلاة الضحى، واستحباب عدم المداومة على صيام يوم الخميس، وجواز النوم على جنابة، وقوله بأنّ تارك الصلاة حتى يخرج وقتها دون عذر لا يعيدها، وعدم وجوب تسوية الصفوف للصلاة، وتصويبه عدم وجوب القراءة مع الإمام فيما جهر فيه، وأنّ تكبيرات الانتقال سنة وليست بواجبة، وجواز رقية اليهودي أو النصراني للمسلم شريطة أن تكون الرقية خالية من الشرك ومعلومة، والقول بأنّ غسل الجمعة قد اتفق السلف على سنيته، ولم يقل بوجوبه إلا بعض أهل الظاهر وهو شاذ.

وقد أثير حول طرح الشيخ كلام كثير من الحسّاد والنقّاد سواء في الجانب العلمي الثقافي أو الجانب الفكري، وقد خوطب بذلك فكان جوابه: «أما بشأن الأمور العلمية فما أذكر أني رجحت قولًا وليس لي فيه سابق وسلف معتبر، ولكن ربما يستشكل الإنسان قولًا لأنه لم يسمع به من قِبل في بلده أو عند علمائه، وهو قول معروف له دليله، وما دام للقائل سلف في قوله فلا ملامة، ما لم يكن في إظهار هذا القول فتنة ومفسدة، فكل شيء بقدره، وقد يطبق أهل بلد ما على عمل ضعيف، ويظن بعض الناس أنّ عملهم إطباق وإجماع، وما يخالفهم شذوذ، وهذا هو سبب الإشكال، وهذا وجد في العصور الأولى، قد يعمل البصريون قاطبة بعمل يخالف ما عليه أهل المدينة، أو مكة أو العكس، ولو أفتى بصري بقول المكيين، عورض وشدد عليه، لا اعتراض على الاعتراض، وإنما الاعتراض على التشنيع والتجهيل، وربما وقع هذا من بعض أهل الفضل، فعكرمة وهو من فقهاء التابعين أنكر على عمل رآه في الصلاة من أحدهم، ووصفه بـ«الأحمق»، فسمعه ابن عباس وقال: «هو على سنة أبي القاسم ﷺ»، أحمق في علم عكرمة، ومتبع السنة في علم ابن عباس، وابن عباس على علم وحجته بالوحي الذي استند إليه رضي الله عنه وأرضاه، ولهذا نظائر كثير لمن

اطلع على مذاهب السلف والخلف حال الفتوى وراقب مَن يعلم السر والعلن لا غيره، ووزن الأمور بميزان القسط، فما كل حق يقال، ومن الحق ما يجب أن يقال ولا بد».

جهاده وإنكاره بقلمه ولسانه

لقد أنعم الله على الشيخ الطريفي بنظرة ثاقبة وقلم سيال وقوة في الحق لم تعهد في علماء زمانه، فكان من رواد العلماء المجاهدين الذابين عن هذا الدين، ويُعدّ من أفذاذ العلماء المقاومين للعَلمانيين واللبراليين ممن بزغ نجمهم في المشهد المحلي السعودي، فقد بدأ الشيخ الطريفي جهاده ضد التيار العَلماني التغريبي أولًا، وألّف وردّ عليهم كثيرًا، وكان حبر قلمه على صهاينة العرب أشد من ألف سوط، وفي جواب له بعنوان «واجبنا تجاه هجوم العلمانية والليبرالية» تجلت فيه معالم قوة الصدع بكلمة الحق في وجوه الزنادقة، وكذلك في رسالته الأخرى التي منع آل سعود طبعها وهي بعنوان «الحرية بين الفكر والكفر».

كما دخل الشيخ في معارك محتدمة مع التيار الليبرالي في بلاد الحرمين، فكتب في بيان حقيقتهم وتعريتهم والرد عليهم المقالات والكتب، وناضل وذب عن إخوانه العلماء، وقد قال في أحد مقالاته: «هناك من الناس مَن لا يريد إلا شيئًا واحدًا منك، ولو تحدثت بكل

خير وفضل لاقتنص المشتبه عليه من بين حديثك ليكون له ما يريد، ثم أنه لم يُفرض على العقلاء على مر العصور أن لا يقولوا شيئًا حتى يعرضوه على غيرهم ليُجاز، بل يقولوا ما يروه حقًّا ما دام أنهم مستحضرون لنظر الرقيب ﷻ، ثم لتعلم أنّ رضى الناس غاية لا تدرك.

نحن في هذا البلد في مركب واحد يجب أن نتدارك فيه أخطائنا بالحسنى واللين بعيدًا عن الظنون وقلب المصطلحات والمعاني.

إنّ انشغال البعض عن الواضحات إلى لي عنق الألفاظ والمعاني حتى يشكل منها أفكارًا وعقائد لأشخاص داء مستفحل، وإن وجد أمثال هؤلاء آذانًا صاغية فذلك نذير خطر وشؤم.

حينما يخالفك غيرك لا يعني أنه عدو لك، بل أنه يرى نفسه في مركب وسفينة أنت فيها فإن لم يأخذ على يديك ستغرق ويغرق هو ويغرق المجتمع بأسره، فلا بد أن نأخذ على أيدي بعض فلا أحد معصوم.

ولقد تمكن في ظل هذا الصراع أصحاب التيارات التغريبية من رمي الشباك فوقع في شراكهم شيء مما يريدون، ونحن نفتش عن النيات والمقاصد للأسف، وسيكون لهذا التفتيش ضحايا كثير للأسف».

ومن جهاده أيضًا ما قاله عن فرعون مصر السيسي حيث قال: «هو ليس حاكمًا متغلبًا، بل ظالم يجب أن ينتصر منه للمظلومين، وما يحدث في مصر الآن هو حرب على الإسلام».

تفاعله مع وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي

من ذكاء الشيخ الطريفي وحكمته في الدعوة إلى الله ونشر العلم استغلاله للفضائيات مع إنكاره لمنكراتهم على الهواء مباشرة، وتوظيفه البديع لوسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة ونشر الدين، الذب عن الإسلام، وكشف شبهات المنافقين، وما غصت قلوب الزنادقة بمثل ما غصوا بتغريدات الشيخ الطريفي.

وللشيخ الطريفي تفاعل مستمر ومتابعة ورصد لقضايا عصره، ولا سيما قضية الحرب على الإسلام وطلائعه المدافعة عنه، في وقت جَبُنَ وتخاذل كثير من العلماء والدعاة بنصرة دينهم، وقد سبب ذلك له الكثير من المحن والفتن والابتلاءات، فسرعان ما واجهه النظام الحاكم بالكبت والأسر، ومن خلال النظر في جهود الطريفي وتفاعله مع قضايا عصره؛ نجد تلك الفتوى التي بيّن فيها حكم العَلمانية في الإسلام أتم بيان، وأنها مذهب جاهلي قديم، قوبل به بعض الأنبياء في ردّ دعوة الوحي، لكنه نودي به في هذا العصر باسم جديد لطيف،

تدليسًا وتلبيسًا، وقد أشار إلى أنّ الفكر العَلماني يتكئ على حرية الفكرة والرأي في مقابل كل تشريع سماوي، ويعتمد على المادية والمصلحة الشخصية في تشريعاته الوضعية.

ومن تفاعله وقوفه مع طليعة الأمة المسلمة في سائر الثغور، ولا سيما ثغر فلسطين والعراق وأفغانستان والشام، فهو محب للثغور وأهلها، ويلتمس لهم من المعاذير إن هم أخطؤوا، ويدافع ويذب عنهم كما تجلى ذلك في مقاله الرائع: «**من لم يُعانِ لن يفهم المعاني**»، وقد قال فيه: «التاريخ يُكتب ويدوّن اليوم، وأحداثه الصعاب لا يقررها مَن لم يكتوِ بنارها، ومَن لم يعتد على الاستقلال برأي، وسيقرأ التاريخ غيرُنا حينما تزول الحجب من الأعين، وتزول المصالح والمُتَع والمطامع، ولا يبقى للإنسان لذة قائمة فيما قاله، ويبقى التجرّد وحده، ويندم ولات حين مَندَم، ويُسَطّر ما يكون معرّة إلى يوم الدين. الظروف التي تحيط بأمتنا، لا يحكمها رأي واجتهاد دعت إليه مصالح شخصية، وبُني على نظرة قاصرة. كل مَن جسر على القول في تخذيل الشعب العراقي، ورماه بسائر العلل، وكال وبالغ في رمي التهم، أو دعاه إلى التخبط والتهوّر والمجازفة وتفريق الكلمة، ورمي الحكمة والأناة، أقول له: لا تتكلم بكلام تحتاج أن تعتذر منه غدًا، حينما تتلاشى المصالح، ولا يبقى إلا

الاعتذار. ماذا يراد من شعب انتُهك عِرضه، وسُلبت خيراته، وسُفك دمه، في قعر داره، وقِيْدت محارمه من أبواب المدارس إلى متعة الغزاة، وحملت آلاف العذارى المسلمة فيه بلا أزواج. التاريخ الماضي دُوِّن لنا لنقرأه، وسيدون تاريخنا لغيرنا ليقرأوه، التاريخ كتب لنا لنعتبر، لا لنتسلى، ونتسامر، كتب كما قال ابن الأثير في مقدمة «تاريخه»: «ليعلم الظلمة أنّ أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض، وفي الكتب ليذكروا بها ويذموا ويعابوا..»، ألم نقرأ تاريخنا القريب، وأحوال الجزائر المسلمة حينما احتلها المستعمر الفرنسي، وسفك على أرضها أكثر من مليون مسلم، ونُزعت فصول الجهاد من الكتب الفقهية، ومُنع العلماء من إقراء أبواب الجهاد في كتب السنة، وسُمي قتال المحتل وجهاده وإخراجه من بلاد المسلمين خروجًا وفتنة، واجتمعت كلمة أكثر أهل العمائم على هذا، وما إن انجلت الغشاوة، ونزعت الرهبة والرغبة، حتى سُمي أولئك بالشهداء، وسُميت بلاد الجزائر إلى اليوم «بلد المليون شهيد».

رسالة إلى العلماء أقولها وأفوض أمري إلى الله: مَن لم يعانِ لا يفهم المعاني، والله يشهد وملائكته وجميع خلقه، أنني أكتب هذه الأسطر، وانا مستيقن أنّ نساء العراق يُغتصبن، وفي السجون أكثر من عشرة

آلاف امرأة عراقية، وثابت عندي وعند غيري كثبوت الأصابع في الكف أن منهن من تُقاد بالسلاح عند خروجها من المدارس والجامعات بسيارات المحتل إلى متعة جنوده، والذكور والإناث يُقتلون ليلًا ونهارًا بأيدي محتل ظالم، والصمت ملعون إذا نطق الحجر، والعلم أمانة، وتبليغه ديانة، والصمت عند العجز أدنى دركات الخيانة، تأملوا وتدبروا وتفكروا في الحال، تدركوا المآل، تجردوا من كل لباس إلا لباس التقوى، ومَن حُرم التوفيق ضلّ في القول والعمل. إذا لم تتحرك الفطرة، والعفاف والطهر، فاجعلوا التاريخ لا يجد منكم إلا الصمت، فالصمت لا يكتبه التاريخ، ولا يصوره الزمن، ولا تعرفه الكتب، ولا يُحتاج معه – في الغالب– إلى الاعتذار. دعوا العراقيين في أنفسهم، وشأنهم، فهم أعرف الناس بحالهم، فالشاهد يرى ما لا يرى الغائب، واعلموا أنّ الإعلام ليس بأيديهم، بل يملكه غيرهم، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهو أعظم فتكًا في أمتنا من السلاح، شوّهوا به الإسلام، وفرّقوا به الشعوب، ونشروا العنصريات، واختلقوا الأكاذيب، وحاكوا القصص، وفيكم سمّاعون لهم كثير. في العراق أعراق، وعقائد ومذاهب، كما في غيره، لا يسقط بتفرقهم؛ دفعُهم عن حرماتِهم ودينهم، ما دام يجمعهم أصل الإسلام.. وفي كل بلد عربي، أرباب بدع وضلال، يجمعهم مع أهل السنة الإسلام. أُدرك أنّ ثقافة المنتصر وتاريخه وبصمته

هي السائدة، والعين التي يبصر بها الكثير، ولكن هذا ما رأيتُ نصوص الوحي ناطقة به، بأفصح لسان، وأظهر بيان، وهو ما يدركه العقل الصحيح.

والمقصود: أنّ هذا المقال، أدعوا به إلى ترك أهل العراق وشأنهم -على الأقل-، فلا يفتنوا في دينهم؛ ودفاعهم عنه وعن عرضهم وأرضهم، ممن لم يُدرك للمعاناة معنى، وليس راءٍ كمَن سمع، فهدهد سليمان غاب عنه، وأدرك ما لم يُدركه نبي الله ﷺ، فقال بعد معاينة ومشاهدة: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢]».

وقد سئل الشيخ في لقائه مع موقع «ملتقى الفوائد» عن حكم من قال أنّ القتال بالعراق ليس بجهاد فأجاب بقوله: «مقاتلة العراقيين للصليبي المحتل جهاد بلا ريب، وهذا محل إجماع عند كل مَن يؤتمن في علمه ودينه، فالصليبيون داهموهم في قعر دارهم وسلبوا خيراتهم وانتهكوا أعراضهم، ومَن قال أنّ قتالهم ليس من الجهاد المشروع وشك في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الإسلام وهو مغرر بدينه، ظالم لنفسه وللمسلمين، داخل فيما نعيب به المخالفين من أهل البدع والضلال ممن تنكب الحق مع ظهور شمسه، والله يعصمنا من أمثاله فقد لبّس

على المسلمين دينهم وأضلهم على علم، كيف وقد وجب قتال التتار الذي دخلوا بلاد المسلمين واستباحوا حرماتهم، فكيف بالصليبين الذين رفعوا الصليب في أرض الخلافة الإسلامية».

ومع ذلك كله كان الشيخ حريصًا على أهل الثغور واعتدالهم واستقامتهم، فلمّا بزغ قرن الخوارج بالعراق والشام وأعلنت جماعة البغدادي «داعش» عن خلافتها الوهمية الكرتونية؛ أفتى الشيخ بعدم جواز الانضمام لها، وأمر بانشقاق أفرادها عنها حتى تقبل بتحكيم الشرع المستقل عنها في مظالمها.

ومن تفاعله أيضًا مع قضايا أمته المسلمة جوابه الشهير حين سئل الشيخ عن استهداف مصالح إسرائيل في العالم فأجاب بقوله: «قد أمر الله بدفع الظالم عند ظلمه قدر الإمكان والوسع، ولو كان ظلمه بأخذه المال فلا يندفع عنه إلا بالقتل فيجب قتله، وهذا ما يتأكد الآن في حال أهل غزة وفلسطين عامة من وجه، ومن وجه آخر فهم أهل بلد محتل ومقاتَلون عليه، يجب صونه والدفاع عنه قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩]، وأما استهداف الظالم في أي بلد فالمتقرر شرعًا رجوع ذلك إلى نفع المظلومين ومصلحتهم ودفع الظالم وردعه، فإن ثبت ذلك جاز بل

وجب.. والنصوص العامة في الشريعة أنّ الفرد والجماعات يؤاخذون بجريرة قومهم، والحليف كذلك ما دام في ذلك مصلحة للأمة، والحليف على علم بحال حليفه ورضا به، وهذه المعاني صحيحة شرعًا في الحكم الدنيوي والأُخروي قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠]، وهذا في حق المجالسة أخذ المجالس حُكم الجالس المتحدث بالبغي والكفر، والحليف كذلك.

والواجب على مَن تولى أمر المسلمين أن يتقي الله في ترك المظلومين، والاكتفاء بالإنكار مع القدرة على الصد والدفع، وما الذل الذي يعيشه المسلمون الآن وسطوة اليهود عليهم إلا لبُعدهم عن مصالح دينهم وأمتهم وأخذهم بمصالح أفرادهم وسلطتهم قال ﷺ: «**إذا تَبايَعْتُم بالعِينةِ، وأخَذْتُم أذْنابَ البَقَرِ، ورَضيتُم بالزَّرْعِ، وتَرَكْتُم الجِهادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا يَنزِعُه حتّى تَرجِعوا إلى دينِكم**»[1]. والأمة قوية تملك القدرة في ذبها عن نفسها وإضعاف عدوها وهزيمته، ولو أرادت القدرة لاستعدت، وأعدت العُدة، ولكنها رغبت بالدونية والضعف إيثارًا

---

[1] أبو داود (٣٤٦٢).

للدنيا وحبًّا لها وكراهية للموت، وقد قذف الله في قلوبهم الوَهَن كما جاء في السنن عنه ﷺ قال: «**وَلَيقذفَنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حُبّ الدُّنيا وَكَراهيةُ المَوْتِ**»»[1].

ومن تفاعله القوي أيضًا ما ذكره في محاضرته القيمة التي بعنوان «العلماء والميثاق» ومحاضرة «العالِم والعالَم»، وقد بيّن فيهما صفات العالم الموفق العامل المجاهد الذي ينبغي أن تعول عليه الأمة الإسلامية اليوم في قضاياها المعاصرة وإن كان هذا العالم قليل البسطة في العلم.

وقد قال موجهًا نصيحته للعلماء: «إلى أهل العلم والمعرفة.. لا نرى من العلماء الناصحين قدرًا يكفي في صد البغي على الدين والأعراض، والنصيحة إن قصرت عن مستوى ظهور الشر لا تُسمى نصيحة تبرأ بها الذمة. على العلماء أن يخافوا دول العلم، كما يخاف الملوك دول الملك، فالعلم ليس أعيانًا تورّث، بل هو أقرب إلى الضياع من الملك والمال، فالإصلاح والإنكار لا يكون موزونًا حتى يكون مكافئًا للمنكر ظهورًا، ومن أعظم ما يقصر فيه العالم أن ينكر في الظلام ما ظهر في الشمس، أو يكتفي بمقولة على منبر في شر طار على ألف منبر، وإذا بُلي العالم ببطانة تُعظّم له فعله وأثره القاصر في الناس، أو لبّس عليه الشيطان

[1] أبو داود (٤٢٩٧).

فعظّم له القاصر من إصلاحه بعرضه بين عينيه قيامه وقعوده، فيظن أنه على أذهان الناس يُعرض ذلك العرض، فهذا من أعظم أسباب تنامي المنكر، والنفوس تركن إلى إعذار متوهم»

ومن ذلك غيْرته على أخواته المؤمنات كما ظهر ذلك جليًّا في مقاله البديع: «الأعراض تُكشف عنوة»، وكذلك إنكاره على النظام الحاكم في سجنهم للنساء والشباب والدعاة والعلماء بغير حق.

وقد قال الشيخ الطريفي في أحد مقالاته: «وإني أوجه هذا الرسالة إلى كل مَن تحمّل سلطان العلم وسلطان الأمر في هذه البلد خاصة؛ وذكره بالتخصيص يفتح باب الإطالة، وهو مَعني وإن لم يُسمّ، إذ لا يقدر أحد على أن يتولى تخصيص الكل باسمه فيراعيه بلفظه ومعناه، وذلك لكثرة مَن يستحق أن يوجه إليه الخطاب من أهل العلم والأمر والحمد لله. وإني أقدم ما لا أستجيز تأخيره من النصيحة، وأضع نفسي بينكم، قابضًا بيديَّ على يمين عالمها وشمال سلطانها، ماشيًا معهم إلى حيث تصير البلاد؛ أتولى قارها راضيًا، وأتولى حارها ناصحًا صابرًا. وإنّ عينًا ترقد على انطلاق البلد إلى ما لا يُرضي الله لَلعمى أحسن بها، وإنّ نفسًا تقِرّ على ما لا يُرضي الله لَلموت أولى بها من حياتها».

وقال أيضًا: «إني أرى أحوال المجتمع في جوانب عدة تسير يمينًا وشمالًا لا تدري أي الطريقين تسلك، تُغرّب أبناءها أم تثبت على مبادئها ودينها، يجذبها إلى الشمال أناس، ويجذبها إلى الاعتدال آخرون، والإعلام فوق رؤوس أهل الشمال يقول: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ [ص: ٦]، وأهل الحق فوق رؤوس الناصحين يقولون: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ولقد وهبنا الله عقولًا ومدارك، لا نحتاج معها إلى أن نضع أيدينا في النار ونحن نرى دخانها، نرى الإعلام يُسيّر البلاد ويلوي قراراتها ودساتيرها، ويضرب الأكف مثيرًا للفتنة بين الحاكم والمحكوم، ويمضي يفتّ من صخرة التوحيد، وجبل الفضيلة، ويُذيب صلابة الغيرة شيئًا فشيئًا، يتعاملون مع أصول هذا البلد وثوابته تعامل الغزاة الذين يسابقون الزمن لكسر شوكته حتى لا تقوم له قائمة من ورائهم، ويقود هذه الحرب الضروس على الدين ودستور البلاد، شخص أو أشخاص معدودون، هم الحلقة المفقودة من هذا الصراع».

محنته في الأسر

لم يرقَ للنظام الحاكم أن يُبرز الله ﷻ للأمة الإسلامية مثل هذا العالم الفذ، فحاولوا فتنته بشتى الوسائل والطرق كما ذكر الشيخ ذلك في مجالس عدة لطلابه، فما كان منهم إلا أن يأسروه غير مرة، وقد حالفني الحظ يومًا أني كنت مارًّا بجانب بيته الكائن بحي المصيف بالرياض وهو حينها في الأسر، فكان من قدر الله ﷻ أن يطلق أسره في نفس الوقت الذي كنت مارًّا بجانب بيته بعد صلاة المغرب، وكانت هذه المرة المرة الأولى التي سُجن فيها، وقد استمر سجنه لمدة شهر واحد فقط، فقابلته وهو للتو قد وصل لباب بيته بعد خروجه من السجن فاغتبطت فرحًا وسرورًا لانفراج أمره وفكاك أسره، وألفيته مشرق الوجه صابرًا كما عهدته، لكنه كان يحمل كمية كبيرة من الأدوية والحقن، بسبب إصابته بفقر الدم وألم في الظهر والعين، وضيق في التنفس.

وأما حاله في داخل الأسر فقد كان خير صاحب لإخوانه المأسورين كما يقول مَن كان معه في الأسر، فكان مهتمًّا بتوجيه الأسارى، وبتدريسهم المتون المهمة في العقيدة، والفقه، والأصول، والحديث معهم ومؤانستهم وتسليتهم وتصبيرهم، وكما ذكرت آنفًا فقد كان هذا في أول مرة أسر فيها الشيخ عام ١٤٢٥هـ.

وأما أسره الأخير فقد كان في يوم السبت الموافق ١٦ رجب ١٤٣٧هـ، ولا يزال الشيخ حتى اليوم أسيرًا معتقلًا وحسبنا الله ونعم الوكيل. وحتى وهو مقيد في أسره وأغلاله، فقد فزع النظام الحاكم من الشيخ الطريفي، واشتد حنقهم وغيظهم عليه، فقاموا بإغلاق موقعه العلمي، ولا زالوا حريصين على وأد علمه وكلماته المؤثرة في الأمة المسلمة، وصدق الله إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

آثار الشيخ العلمية وجهوده الدعوية وإنتاجاته

تعد كتب الشيخ الطريفي في عصرنا الحاضر من أكثر الكتب المعاصرة قبولًا بين الناس رغم كون أغلبها علمية تخصصية، فلا غرو أن تنفذ كتبه من معارض الكتاب في يوم افتتاحها الأول، لشدة إقبال الناس عليها ولا سيما بعد اعتقاله التعسفي فرج الله عنه، ونذكر في هذا المقام ما تيسر مما طبع ونشر من كتب الشيخ، علمًا أنّ للشيخ كتبًا أخرى لم يرضَ بطبعها لعدم نضوجها في رأيه، أو أنّ نظام آل سعود لم يسمح بنشرها.

الكتب المطبوعة

١- التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل.

٢- زوائد سنن أبي داود على الصحيحين والكلام على علل بعض حديثه.

٣- علل أحاديث الأحكام (الطهارة).

٤- أذكار الصباح والمساء رواية ودراية.

٥- مختصر أذكار الصباح والمساء.

٦- صفة حجة النبي ﷺ (شرح حديث جابر الطويل).

٧- منهج الترمذي في أحكامه على الأحاديث في كتابه السنن (مقتطف من شرح حديث جابر الطويل).

٨- المسائل المهمة في الأذان والإقامة.

٩- صفة وضوء النبي ﷺ (شرح حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه).

١٠- صفة صلاة النبي ﷺ وما يلحقها من أذكار ورواتب.

١١- الموجز في صفة صلاة النبي ﷺ وصيامه وقيامه واعتكافه.

١٢- التقرير في أسانيد التفسير

١٣- التفسير والبيان لأحكام القرآن.

١٤- الخرسانية في شرح عقيدة الرازيين.

١٥- المغربية في شرح العقيدة القيروانية.

١٦- الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام.

١٧- توحيد الكلمة على كلمة التوحيد.

١٨- فصول في العقيدة (الرسالة الشامية).

١٩-المعتزلة في القديم والحديث.

٢٠- الفصل بين النفس والعقل.

٢١- تعظيم الله تعالى وحكم شاتمه.

٢٢- العلماء والميثاق.

٢٣- الغناء في الميزان.

٢٤- الحجاب في الشرع والفطرة بين الدليل والقول الدخيل.

٢٥- العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل.

٢٦- الاختلاط: تحرير وتقرير وتعقيب.

٢٧- أسطر من النقل والعقل والفكر: تقييدات وملفوظات عبد العزيز بن مرزوق الطريفي (جمع وترتيب: عزام بن مُحَمَّد المحيسني).

٢٨- ذخائر في سطور: جامع تغريدات الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي (جمع صيته بنت خالد المغلوث).

تفريغات الدروس

١- شرح كتاب الطهارة من بلوغ المرام.

٢- شرح كتاب الصيام من المحرر.

٣- الأربعون النووية المسندة دراسة موضوعية حديثية والتعليق على المعلول منها.

كتب طبعت بإشراف الشيخ ومراجعته

الكتب الستة (المطبوعة في مجلد واحد كبير وضخم بدار السلام).

الدروس الصوتية والمرئية

قلما ينقطع الشيخ عن التدريس إلا لعارض يُلمّ به من مرض أو سفر ونحوهما، وجُلّ وقت الشيخ يذهب في الإفادة والتدريس وإلقاء المحاضرات وحضور الحوارات ومجالس الإفتاء، ولهذا فقد أثرى الشيخ المكتبة الإسلامية الصوتية والمرئية بمئات التسجيلات التي تنوعت ما بين محاضرة وشروح وتعليقات وبرامج فضائية واستضافات وحوارات وبرامج إفتاء ونحو ذلك، وقد جمعت هنا شيئًا من أهم جهوده العلمية والتوعوية، فمن ذلك:

١- تفسير آيات الأحكام.

٢- تفسير آيات تأولها الليبراليون.

٣- تفسير قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

٤- تفسير آيات الصيام.

٥- أسباب النزول.

٦- أسانيد التفسير.

٧- فضائل الآيات والسور.

٨- شرح الأربعين النووية رواية ودراية والتعليق على المعلول منها.

٩- شرح عمدة الأحكام.

١٠- شرح بلوغ المرام.

١١- شرح كتاب المحرر.

١٢- شرح صحيح البخاري.

١٣- موطأ الإمام مالك.

١٤- شرح سنن الترمذي.

١٥- شرح سنن أبي داود.

١٦- التعليقات المختصرة على موطأ مالك كاملًا.

١٧- التعليقات المختصرة على سنن ابن ماجه كاملًا.

١٨- التعليقات المختصرة على سنن أبي داود كاملًا.

١٩- شرح منظومة رشف الشمول من علم الأصول لابن بدران.

٢٠- شرح منار السبيل.

٢١- صفة وضوء النبي ﷺ.

٢٢- صفة صلاة النبي ﷺ.

٢٣- صفة حج النبي ﷺ.

٢٤- شرح لامية ابن الوردي.

٢٥- فتاوى يستفتونك.

٢٦- الأحاديث المعلة في الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج.

٢٧- شرح عقيدة الرازيين.

٢٨- شرح نواقض الإسلام.

٢٩- العناية بفقه الصحابة والسلف.

٣٠- شرح زاد المستقنع.

٣١- برنامج شرعة ومنهاج.

٣٢- سؤالات في العلم والفكر والمنهج.

٣٣- توحيد الكلمة على كلمة التوحيد.

٣٤- التلازم بين الحفظ والفهم.

٣٥- شرح كتاب التمييز للإمام مسلم.

٣٦- شرح نخبة الفكر.

٣٧- شرح المنظومة البيقونية.

٣٨- شرح اختصار علوم الحديث.

٣٩- شرح علل الترمذي الصغير.

٤٠- شرح قطعة من علل ابن المديني.

٤١- العزائم والرخص.

٤٢- أحاديث الأحكام وعناية العلماء بها رواية ودراية.

٤٣- المعروف والمنكر بين المؤمنين والمنافقين.

٤٤- النوازل في الصيام.

٤٥- الأيام المشروع صيامها في العام.

٤٦- دروس وأحكام في الصيام.

٤٧- مجلس في أحاديث الاربعين النووية وبيان الصحيح والضعيف والمعلول منها.

٤٨- الإصلاح ما استطعتم.

٤٩- معالم في فقه السلف.

٥٠- العلماء والميثاق.

٥١- شرح كتاب مختصر الشمائل المحمدية.

٥٢- اضطراب الزمن.

٥٣- المعتزلة في القديم والحديث.

٥٤- أذكار الصباح والمساء رواية ودراية.

٥٥- شرح مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد.

٥٦- النوازل في الحج.

٥٧- دراسات في علم العلل.

٥٨- المنهج العلمي في الحديث.

٥٩- فضل الحج وحقيقته والحكمة منه.

٦٠- مسائل في الأذان والإقامة.

٦١- الحجاب في الميزان.

٦٢- شرح حائية ابن أبي داوود.

٦٣- شرح كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني.

٦٤- شرح كتاب العلل للخلال.

٦٥- برنامج مدارسات فقهية عن أحكام الصيام.

٦٦- برنامج مدارسات فقهية عن أحكام الحج.

٦٧- المنهجية في قراءة كتب الحديث.

٦٨- شرح كتاب أربعون حديثًا في الحج وفضله للقنوجي.

٦٩- قواعد ومهمات في طلب العلم.

٧٠- شرح حديث (عشرة من الفطرة).

٧١- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

٧٢- شرح الموقظة للذهبي.

٧٣- الأرض المباركة مسائل وأحكام.

٧٤- العالِم والعالَم.

٧٥- برنامج «نور على الدرب» على قناة الأسرة.

٧٦- الليبرالية: الفكر والمعتقد.

٧٧- شرح تائية الألبيري.

٧٨- أشراط الساعة رواية ودراية.

٧٩- المنهجية في دراسة الفقه.

٨٠- الرقية الشرعية أحكام وآثار.

٨١- مدارسات في أحكام الحج.

٨٢- سلسلة برنامج بيوت آمنة.

٨٣- فقه التيسير.

٨٤- الردة: مسائل وأحكام.

٨٥- قواعد في فقه المناسك.

٨٦- شرح عقيدة سفيان الثوري.

٨٧- شرح عقيدة أهل السنة لحرب الكرماني.

٨٨- علم الحديث دراية ورواية.

٨٩- دراسة الحديث النبوي رواية ودراية.

٩٠- فضائل القرآن الكريم.

٩١- برنامج «الأمالي» على قناة المجد العلمية عن أحكام شهر رمضان.

٩٢- منهج التلقي في علم الحديث.

٩٣- مقدمات في علم الحديث.

٩٤- المعروف والمنكر بين التطبيع والتشريع.

٩٥- صفة الحج من الإهلال إلى الإحلال.

٩٦- الاختلاط مفهوم ومصطلح: بين التشريع والتطبيع.

٩٧- العلم بين الحفظ والفهم.

٩٨- الرؤى والأحلام.

٩٩- ولله الأسماء الحسنى.

١٠٠- الشورى والدمقراطية.

١٠١- الفتوى ضوابط وأحكام.

١٠٢- التغريب الأهداف والأساليب.

١٠٣- فقه الأولويات.

١٠٤- الإسلام وأهل الكتاب.

١٠٥- شرح كتاب النكت على ابن الصلاح لابن حجر.

١٠٦- شرح لمعة الاعتقاد.

١٠٧- دورة في تخريج الحديث.

١٠٨- سلسلة اللقاء المفتوح.

١٠٩- موقف المسلم من الفتن.

١١٠- شرح كتاب السنة للمزني.

المقالات والردود

للشيخ الطريفي عدد من المقالات المكتوبة والردود على أهل الأهواء والبدع من العَلمانيين والليبراليين والتغريبيين، والمنشور منها ما يلي:

١- إغلاق المتاجر وقت الصلاة هدي النبي صلى الله علية وسلم.

٢- عاشوراء بين هدي الإسلام وهدي الجهلاء.

٣- علاقة الكوارث والمصائب بالذنوب.

٤- قطاع طريق النصيحة.

٥- ماذا يراد من المرأة يا ولي الأمر.

٦- متى يحسن الرد على المخالف.

٧- حرب المنافقين على الدين.

٨- حول حصار مضايا.

٩- الليبيون: انصروهم إنهم مظلومون.

١٠- العلماء وقصور الرسالة.

١١- قيادة المرأة: حتى تُفهم.

١٢- عضوية المرأة للشورى: تأصيل وتنزيل.

١٣- المجسمات: أعتاب على الشرك.

١٤- الدستور المصري والتصويت عليه.

١٥- كلما ارتفع الظالم كان أبين لسقوطه.

١٦- تصريف المنكرات وتصريف السيول.

١٧- إلى الأميرة عادلة: لا تستصغري ما أنتِ فيه فإنه عند الله عظيم.

١٨- إلى وزير العدل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾.

١٩- مَن لم يعانِ لن يفهم المعاني.

٢٠- الأقلام المماليك.

٢١- بيان حول الاختلاط في جامعة الملك عبد الله.. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾.

٢٢- إعدام صدام بين السلبيات والإيجابيات.

وثمة مقالات وردود كتبها الشيخ، ولكن لم تنشر بعد، فنسأل الله تعالى أن ييسر حفظها للأمة ونشرها.

هذا وقد تم بحمد الله ما كنت بصدده من الترجمة لحياة وسيرة الشيخ الطريفي، سائلًا الله تعالى أن يمنّ على الأمة بحفظه وسلامته وأن يمتعنا

والأمة بخروجه عزيزًا منيعًا من السجن، وأن ينفعنا بعلمه ودعوته، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه، وما هو عليه بعزيز، والحمد لله رب العالمين.